

حبيب بن مظاهر الأسدي

في قلب الصحراء، وفي بيتٍ عريقٍ عُرف بالشهامة والكرم، وُلد حبيب بن مظاهر الأسدي. منذ صغره، كان والده مظاهر يصحبه إلى مجالس الكبار، ليتعلم منهم معاني المروءة وكيف يكون الرجل عوناً للمظلوم وملاذاً للخائف. كبر حبيب وهو يرى في عيني والده فخراً بانتمائه لقبيلة "بني أسد" المعروفة ببسالتها.



مرت السنون وأصبح حبيب شاباً في العشرين من عمره، يمتلك قلباً يملؤه الإيمان ونوراً يشرق من وجهه. في ذلك الوقت، كان حبيب قد تعلق قلبه بالإمام الحسين عليه السلام، فكان يتبعه كظله، يستقي من علمه وأخلاقه، ويرى فيه القدوة والمثل الأعلى في كل شيء، معاهداً نفسه على البقاء معه دائماً.



لم يكتفِ حبيب بجمال الروح، بل صقل جسده بالقوة والمهارة. كان يقضي ساعات طوالاً مع مدربه "جرير" يتعلم فنون الفروسية. تعلم كيف يمتطي الخيل ببراعة، وكيف يضرب بالسيف بدقة، حتى صار من أمهر الفرسان الذين يُشار إليهم بالبنان، مستعداً ليومٍ يذود فيه عن الحق.



إلى جانب قوته البدنية، كان حبيب عابداً زاهداً، يقضي ليله في الصلاة ونهاره في طلب العلم. حفظ القرآن الكريم وتدبر آياته حتى صار عالماً جليلاً يقصده الناس ليتعلموا منه. كان يجلس في المسجد وحوله الطلاب، ومن بينهم الفتى "زيد" الذي كان يستمع بشغف لدروس حبيب في التفسير والحديث.



فِي يومٍ مشهود، التقى حبيب بالإمام علي عليه السلام. نظر الإمام إلى حبيب بعينين ثاقبتين مليئتين بالبصيرة، وأخبره بسرٍ عظيم: "يا حبيب، كأني بك وقد خضبت هذه بدم هذا"، مشيراً إلى لحيته ومنحره، مبشراً إياه بنيل الشهادة دفاعاً عن الإمام الحسين في أرض كربلاء. استقبل حبيب هذه البشرى بقلبٍ صابر ومحتسب.



دارت الأيام واستقر حبيب في مدينة الكوفة. عندما علم بحركة الإمام الحسين نحو العراق، سارع لكتابة رسالة صادقة يدعوه فيها للمجيء ويعده بالنصرة والوفاء. سلم حبيب الرسالة للمرسل "رافل" وهو يوصيه بالسرعة والحذر، فقلبه كان يتوق للقاء سيده ومولاه بعد طول غياب.



في سوق الكوفة المزدحم، التقى حبيب بصديقه "ثابت" الذي لاحظ شيب حبيب واقترح عليه أن يصبغ لحيته بالحناء لتبدو سوداء. لكن حبيب ابتسم بوقار ورفض بشدة قائلاً: "والله لا تصبغ هذه إلا من دم منحري!"، مستذكراً نبوءة الإمام علي ومؤكداً استعداده للتضحية بكل شيء من أجل دينه.



بينما كان حبيب في منزله، وصله مرسل من قِبل الإمام الحسين يدعى "قيس". عندما قرأ حبيب الرسالة التي تبدأ بـ "من الحسين بن علي إلى الرجل الفقيه حبيب بن مظاهر"، انهمرت دموعه شوقاً وحزناً. لم يتردد لحظة واحدة، بل انطلق متخفياً وسط الليل ليلحق بصفوف الحسين في كربلاء.



في ليلة العاشر من المحرم، وقف حبيب أمام خيمة السيدة زينب عليها السلام. عندما سمع قلقها على وفاء الأصحاب، اعتلى حبيب ربوة وصاح بصوتٍ جهوري يطمئنها، ومعه الإمام الحسين الذي كان ينظر إليه بتقدير. قال حبيب: "يا ابنة رسول الله، نحن سيوفكم وبنو أسدكم، لا نترككم ما بقي فينا عرق ينبض".



أشرقت شمس عاشوراء، وبرز حبيب وهو يحمل راية الأنصار. كان يقاتل ببسالة الشباب رغم كبر سنه، وصوته يزلزل الميدان. كان يقاتل بجانب رفيقه "زهير" وهما يذودان عن خيام الإمام الحسين، يضربان يميناً وشمالاً، وكل همهما أن يبقى الحسين عزيزاً مصوناً.



سقط حبيب على رمال كربلاء بعد قتال مرير. هرع إليه الإمام الحسين وجلس بجانبه، ووضع رأس حبيب في حجره. فتح حبيب عينيه ليرى وجه سيده للمرة الأخيرة، وابتسم وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة بين يدي الحسين، الذي بكاه قائلاً: "لله درك يا حبيب، لقد كنت فاضلاً تختم القرآن في ليلة واحدة".



الاسم: حبيب بن مظاهر الأسدي.
اللقب: شيخ الأنصار، وقائد ميمنة جيش الحسين.
الصفات: عُرف بالشجاعة النادرة، والإخلاص المطلق، وكان عالماً بالقرآن وفقيهاً يشار إليه بالعلم.
مكانته: يعتبر حبيب رمزاً للوفاء الذي لا يهزه الشيب، وقصة تلهم الأجيال بأن نصرة الحق واجبة في كل سن ومكان.
خُلد اسمه في التاريخ كأحد أعظم أصحاب الحسين الذين بذلوا أرواحهم دون تردُّد.



النهاية

حبيب بن مظاهر الأسدي

الطبعة الأولى - ٢٠٢٦م